بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

هل هى حقا جنة للأطفال ؟

افترض ابنى (بن Ben) أن اليابان جنة للأطفال ، إذ تعجبه جدا اللعب اليابانية التى تعكس التقدم العلمى فيما تقدمه من نماذج للإنسان الآلى ومركبات القضاء وغيرها . ولعل أكثر ما يستهوى بن هذه الصورة التى يظهر فيها قسم لعب الأطفال فى متجر (كيو Keio) الكبير فى طوكيو . ويعرف (بن) (عيد الأولاد) وتاريخه ٥ مايو ، و (عيد البنات) ويقع فى يوم ٣ مارس ، كما يعلم عن الاحتفال (٧ - ٥ - ٣) فى شهر نوفمبر ، حيث يصطحب الكبار الأطفال فى سن السابعة والخامسة والثالثة إلى معبد شنتو Shinto ، حيث تغدق عليهم البركات . ويتساءل (بن) متعجبا لماذا لايكون للأطفال فى أمريكا مثل تلك الأعياد الخاصة بهم والتى تعكس اهتماما متميزا نحوهم ؟

غير أن العجب ينال من بن ، وهو يفكر فى هذا الطفل اليابانى الذى زامله فى المدرسة لمدة عام ... لماذا يتمتع هذا الطفل الآسيوى بامتلاك قدرات كثيرة : شديد الأدب، مهذب جدا ، ويعرف كيف يتعامل بنجاح مع الكبار ، ويعبر عن نفسه بطلاقة ووضوح داخل الفصل ... ومع كل ذلك فهو غير حازم ، ولا يفرض على الآخرين الاعتراف بحقوقه . ويتساءل ابنى (بن) لماذا يتحلى (تارو Taroo) ، هذا الطفل اليابانى بهذه الصفات الجميلة ؟ ... هل خوفا من عقاب ؟ هل يُقرع هذا الطفل اليابانى بالعصا إذا أخطأ ؟ يعتقد (بن) أن (تارو) واقع تحت وطأة الخضوع لسلطة الكبار الذين يعاقبونه ويطلبون منه سلوكا معينا ... تتملك الحيرة ابنى (بن) صاحب السنوات الثمانية ، وهو يفكر فى تارو ... ربما اليابان ليست حقا جنة للأطفال .

بل إن هذه الحيرة التى تملكت الرأى العام الأمريكى أيضا ، وأعطت الطفولة اليابانية قدرا غير قليل من الاهتمام فى مناقشات المسئولين ، فرضت نفسها فى المحاورات الدائرة عن الاقتصاد اليابانى والحرب التجارية بين أمريكا وبلاد الشمس المشرقة . ويبلغ الأمر حدا إلى أن يصرح بعض المسئولين الأمريكيين بأنه قد يكون للتربية اليابانية وطرق تنمية الأطفال اليابانيين أثر كبير فى الجودة العالية للسيارات اليابانية التى تستوردها الولايات المتحدة الأمريكية وأكثر . فعندما يحقق أطفال اليابان أعلى التقديرات فى الرياضيات والعلوم على مستوى العالم .. فإن ميدان التنافس يضع المدارس فى بؤرة الاهتمام والتساؤل . وقد اندفعت المدارس الأمريكية إلى عمليات التطوير والإصلاح بعد أن أطلق الروس (سبوتنيك) أول قمر صناعى ، وكان هذا جرسا له رنين عال أيقظ الأمريكيين ... واليوم تواجه أمريكا سبوتنيك آخر له نفس الرنين العالى ، وهو : الطفل اليابانى ... هو الوسيلة ، وهو الهدف ، وهو معيار النجاح .

وتتضمن النتائج الواضحة للتربية اليابانية ، وأساليب تربية وتنشئة الأطفال معدلات مذهلة للمتعلمين ، ومستوى متميزا للمواطنين اليابانيين ، وقوى عاملة تتميز بدرجة عالية من الانتماء الاجتماعى والإخلاص فى العمل . إذ إن أقل من ٧ر٠٪ من اليابانيين أميون ، فى حين تبلغ النسبة فى الولايات المتحدة الأمريكية ٢٠٪ . وعلى سبيل المثال .. فإن الأثر البادى للتربية اليابانية على مستوى ثقافة المواطنين يظهر فيما تقدمه شاشات التليفزيون فى برامج اخبارية عادية ، فهى تحوى من التعليقات والتحليلات والتفسيرات المتعمقة للإحصاءات والتقريرات والبيانات ، ما يصل فى عرضها العلمى إلى درجة ، قد لاتصل إليها إلا قلة من «البرامج المتخصصة» التى تعرض على شاشات التليفزيون الأمريكى . وأكثر من ذلك فإن هذا المستوى المتميز لايقتصر على الشريحة الاجتماعية / الاقتصادية العليا ، فتجد أن العامل فى مصنع ما قادر على فهم الرسوم البيانية والخرائط الايضاحية ، والتعامل مع الرموز والمعادلات الرياضية المعقدة . .. والمعنى واضح ، والرسالة موجهة إلى العمال والمدرسين وأولياء الأمور الأمريكيين ، إذ يعمل أولياء الأمور وكذلك تعمل المدارس فى اليابان فى عزف سيمفونية متسقة متناغمة لتنتج مخرجات مذهلة .

ومن الطبيعى أن يصور المراقبون الغربيون الطفل اليابانى وخبراته ومواهبه من وجهة نظرهم ، وهذه الصور فيها انعكاساتهم النفسية كما أن فيها حماية لذواتهم ، فتظهر وسائل الإعلام الأمريكية صورة للطفل اليابانى جالسا على مقعد ، وسط صفوف متراصة بدقة داخل الفصل ، واضعا شريطا أبيض على جبهته ، عليه كلمات باللونين الأحمر والأسود تحمل معان للكفاح والتقدم ، ويرى هذا الطفل إما رافعا يده فى إصرار على الإجابة أو منهمكا فى الكتابة ، وعلى وجهه إمارات التصميم والتركيز الجاد . ويقصد من هذه الصورة بعث الماضى والتاريخ والعزم فى المستقبل : فإن هذا الطفل قد خرج من جحيم الاحتلال ، ليكون مصدر خطر وممثلا لجيل من رواد التفوق اليابانى ، وأن العالم سيكون عالمه هو إلا إذا تيقظنا وانتبهنا للخطر الذى يمثله .

وما زال الكلام للمؤلفة الأمريكية ... وماذا نحن فاعلون لو تنبهنا وتيقظنا ؟ فقد قيل لنا إن النجاحات التربوية اليابانية هى نتاج نظام لا إنسانى قائم على القهر فى العملية التعليمية ، وأن الطفولة التى نعهدها لا مكان لها فى اليابان : فالملاعب خالية، والأمهات طاغيات فى ملاحقة أبنائهن فى أداء الواجبات المنزلية ، وحتى العطلات والإجازات فهى مكرسة للدرس والتحصيل . وكما قيل لنا .. فإن ذروة ومجموع هذه الأعمال الشاقة التى يؤديها الأطفال تتبلور فى الامتحانات .

إن النجاح يعنى الدخول فى آلة الصناعة ، وإذا التحق الطالب فى جامعة مرموقة فإنه يصبح - على حد تعبيرهم - من قمم «الحيوانات الاقتصادية» . أما الفشل فهو سُبة وعار ، وقد يؤدى إلى الموت : إن معدل انتحار الأحداث يرتبط بالفشل الدراسى . إن المراقب الغربى إذا استيقظ على هذه المعلومات والحقائق عن الطفولة اليابانية .. فقد يتردد كثيرا قبل أن يقرر أن تكون تربية أطفاله على نفس نسق تربية الأطفال اليابانيين . إن الثمن الذى يدفعه الأفراد والحكومة مقابل هذه التربية باهظ وغال . وهذا ما يجعلنا ندعى أو نقول إن التربية اليابانية غير إنسانية ، وغير عادلة ، سواء للطفل اليابانى أو للاقتصاد الأمريكى (لاحظ طرفى المقابلة : تربية الطفل اليابانى - الاقتصاد الأمريكى) .

ولكن الآباء والمدرسين الأمريكيين - وهم يلاحظون المشكلات الموجودة فى المدرسة ، مثل : الاغتراب وفقدان الدافعية عند التلاميذ - واعون بأن المدارس فى العالم الغربى لا تواكب تقدم هذا العالم فى مرحلة ما بعد التصنيع كما يجب . وعلى ذلك فهم يتطلعون إلى إصلاحات وتطوير لبيئتنا التربوية ، ويبحثون عن نماذج وأفكار تستورد من الخارج .

وفى نفس الوقت .. فإن التعددية والغزارة فى خبراتنا التربوية لاتعطينا حلا واحدا ، فهناك على سبيل المثال ، المدارس الأصولية الدينية ، وبرامج العودة إلى الأساسيات (قراءة - كتابة - حساب) ، والفصول المفتوحة ، والمدارس الخاصة ، والمدارس التقدمية التى تتبع فلسفة جون ديوى التربوية . وإلى جانب كل ذلك .. توجد المدارس العادية التى تتجنب الخضوع لأيدلوجيات معينة وحتى لنظريات تربوية معينة ، وتحاول أن تشق طريقها بصعوبة ، آملة أن تستمر ، وأن تحافظ على نظامها وعلى سير الدراسة فيها... ولا شك أن هذه المدارس تربى أطفالنا بدرجات متفاوتة ، ولكنها لا تقدم مستويات موحدة متكاملة لكل الأطفال . ونستطيع القول إن أفضل تربية لا تتوافر إلا لنسبة قليلة من أطفال مجتمعنا .

وكما فعل علماء الإدارة والمنظرون الاقتصاديون ، يستطيع المصلحون التربويون أن يتطلعوا إلى اليابان ، بحثا عن نماذج جديدة تحتذى .

وفى مجال الإدارة والصناعة .. يهرع المسئولون إلى اليابان فى زيارات قصيرة ، يملأون خلالها مذكراتهم بملاحظات حول أسلوب العلاقة بين الرئيس والموظفين فى العمل، ويعودون إلى الولايات المتحدة ويعطون الإحساس بأنهم اكتشفوا سر عظمة اليابان الصناعية ... وهكذا يفعل بعض المدرسين والإداريين فى مجال التربية ، فهم يشتركون فى رحلات قصيرة إلى اليابان ، تتضمن ثلاثة أيام يزورون فيها بعض المدارس والفصول، ثم يقضون ليلة فى زيارة معبد زن Zen ، ثم جولة إلى عيون المياه الساخنة ، ويتخلل كل ذلك لقاءات مع بعض المدرسين والمسئولين عن التربية والتعليم، لاتخرج عن كونها احتفالات وزيارات اجتماعية يبدى كل طرف فيها إعجابه بالطرف الآخر . ولكن ، من الصعب أن يطبق هؤلاء المدرسون (السائحون) ما يستخلصونه «سرا» عن سر التربية اليابانية ، أو ما يعتقدون أنهم استخلصوه ... تماما كما انه من الصعب إعادة التحكم فى جودة التربية الأمريكية ، التى هى أصل التربية الجيدة .

إذن ، ماذا يجب أن نفعل إذا ظهر أن اليابان ليست ذلك المارد المنافس المرعب ، ولاتملك الاستجابة لدعواتها الخاصة بوجود حل أمثل للتربية ؟ يمكن - عندئذ - أن يستخدم اهتمامنا الكبير بتربية أطفالنا وإعجابنا المبالغ فيه باليابان بطريقة مبتكرة مبدعة بشرط ألا نبحث عن الحل السريع ، وألا نصر على عمليات الأخذ الجزئى والإضافة والحذف فى مناهجنا وأساليب تطوير التعليم . وعلى سبيل المثال .. فإن مجرد اطالة العام الدراسية من ١٨٠ يوما إلى ٢٤٠ يوما لايضمن - بالضرورة - فائدة أكثر لأطفالنا .

وعلينا أن نفهم المدرسة اليابانية وخبرات الطفل اليابانى فى أعماق حقيقتها النفسية والثقافية . وإذا كانت اليابان قد استعارت نماذج غربية وأمريكية فى التربية فإنها لم تستعر المفاهيم الغربية لاعن التعلم ولا عن الطفولة ، فإذا نظرنا إلى اليابان على انها دولة «غربية» فسوف تصدمنا حقيقة أننا أخطأنا الفهم . إن اهتمامنا الحديث المعاصر باليابان لا يجب أن يدفعنا إلى التفكير بأن هناك طريقا واحدا ناجحا لنكون «عصريين» ، لذلك فإننى لن أقدم اليابان كنموذج صارم علينا أن نتبعه . إن الرسالة التى تصلنا من أساليب الوالدية اليابانية ، وحسن العمل المدرسى ، والتوافق الاجتماعى ، ليست فريدة أو غير قابلة للتقليد ، ولا هى بالصورة التى يمكن نقل أسرارها بشكل مباشر إلى سياق الحياة الأمريكية ، لكنها توضح - فى الحقيقة - أن فى عالم اليوم اتجاهات ونماذج مختلفة وبدائل متعددة لتربية الأطفال .

إن ما نريده حقا هو اتفاق فعال بين أولياء الأمور ، والمربين ، وصانعى السياسة يسمح بنظرة متفتحة لنظامنا التربوى والمفاهيم الثقافية المؤثرة عليه . ونحن أيضا لدينا «ثقافة» - وإن كان من الصعب إدراكها - ولكنها تشكل أفكارنا عن ماهية الطفل ، وكيف يمكن أن يربى ، وما أهدافنا لمستقبله .

إن الأفكار والمثاليات الغربية عن الطفل تنبثق من تاريخنا ، وتحمل مخزونا من عصر النهضة الأوربية وحركة التنوير ، وآراء جان جاك روسو ، واتجاهات العصر الفكتورى . كما يُعلى الأمريكيون شأن المبادىء الخالدة التى نادى بها أجدادهم العظام عن الاستقلال والمساواة والفردية . وتتضمن نتائج هذه المؤثرات :

١- أن الطفل معرض للخطر وقابل للإصابة ، ولذا يجب أن نحميه .

٢- أن الطفل بالضرورة كائن عاقل ، ولذا يجب أن يُربى .

٣-أن الطفل بطبيعته مبدع ومبتكر وهو بفطرته خيِّر ، ولذا لايجب أن يتعرض لأصناف من الكبت والضغط .

٤- للطفل حق الاختيار الحر والتمتع بمباهج الحياة ، ولذا يجب أن يحميه القانون .

٥- وأخيرا ... فإن الطفل عضو فى المجتمع .

ولأن الطفل عضو فى المجتمع .. فمن الواجب أن تكون نتائج تربيته وتنميته واضحة المعالم ، ولكن الأمر غير ذلك ، وهنا يمكن القول إن علينا أن نتعلم كثيرا من التجربة اليابانية فى تربية الطفل .

أى نوع من المدارس هذه التى تنمى الطفل اليابانى وطبيعته فردية وروحه حرة؟ فى كل الأحوال .. على هذه المدرسة أن تعلمه ما يجب أن يعرفه ، ولعل من أبرز ما يجب أن يتعلمه أن يتقبل فى ارتياح التوافق مع توقعات وآمال المجتمع ، كما يتقبل بالتدريب والممارسة وبالاختيار الحر الضغوط الاجتماعية الضرورية . وإذا نظرنا إلى «المجتمع» على أنه مجرد البيئة الاجتماعية المحلية التى يتربى فيها الطفل وينمو كفرد فقط .. فإن مشاركته الفعالة ومسئولياته تجاهها تعتبر أقل أهمية ، مما لو نظرنا إلى البيئة الاجتماعية على أنها تعبر عن المجتمع اليابانى ككل ... هذا المجتمع الذى يحتضن هويته وفرص حياته المستقبلة . وفى المقابل .. نجد أن المدارس ، وهى مدارس يمتلكها المجتمع ، لا تؤكد قيما اجتماعية موحدة ، بل

تعكس أيدلوجيات متعددة بل ومتناقضة أحيانا . ومع ذلك فهناك العموميات التى لاتختلف حولها أهداف المدارس الغربية المختلفة ، فهذه المدارس تشترك جميعها فى مفهوم أن الكبار مسئولون عن تربية الصغار ، وأن المجتمع قادر على أن يهيىء بيئة تربوية يتعلم فيها الأطفال وينمون . وسوف نتعرض لهذه العموميات والخصوصيات فيما بعد ، أى عموميات الثقافة وخصوصيات الأيدلوجيات والأفكار التى تتعارض فيما بينها .

ويتتبع هذا الكتاب حياة الأطفال فى اليابان من الحمل ، مرورا بالمدرسة الثانوية وحتى الجامعة والمعاهد العليا . ومن خلال الملاحظة المباشرة وتحليل المقابلات ، والاحتكاك الفعلى مع أطفال من سنوات دراسية مختلفة .. أحاول أن أشكل فهما للطفولة اليابانية كما يخبرها الأطفال أنفسهم ، وكما تتشكل بالمؤسسات الاجتماعية والمعايير الثقافية . وأملى كبير فى أن يظهر هذا المدخل الأطفال اليابانيين ، لا على أنهم آلات مبرمجة ، بل أطفالا عاديين ، أى الطفل اليابانى العادى الذى يؤمن أبواه ومدرسوه والمجتمع بقيمة التعلم ، ومن ثم فمساعدتهم للأطفال جليلة حتى ينهمك هؤلاء بكل حماس واستمتاع فى عملهم المدرسى ، ولا يهم إذا كان هذا الحماس والجدية سيؤديان بالطفل فى المستقبل إلى عمل مكتبى ، أو يقف بائعا فى محل تجارى ، أو يبرز كأحد المخترعين والمبدعين .

ومن الطبيعى أننى سأقارن هنا بين الأطفال فى مجتمعات غربية ، وبين الأطفال فى اليابان ، وستكون هذه المقارنات فى أغلب الأحوال صريحة وواضحة ومحددة ، ولكننى أحذر القارىء من أنه سوف يحس أحيانا بأننى أشير إلى أمور ضمنية ، أى تلميح بدون تصريح . كما أن هناك خطورة تكمن فى التعميم الجارف الذى قد تحمله الصراحة والوضوح ، فليست كل المجتمعات الغربية على شاكلة واحدة ، كما أن المدارس اليابانية وأطفالها ومدرسيها لا ينطبق عليهم التعميم الواضح الصريح المحدد.

وعندما استخدم تعبير المجتمع الغربى .. فأنا أعنى بالذات الولايات المتحدة الأمريكية ، ومع ذلك فلا يخلو الأمر من مقارنات بين اليابان ودول أوروبية . ولأن المجتمعين الأمريكى واليابانى يقفان على طرفين متضاربين فى أبعاد اجتماعية كثيرة.. فإن استخدام أمثلة للمقارنة من دول أوروبية غربية يخفف من حدة التفرد الذى ينسب إلى طبيعة المجتمع والثقافة اليابانية . ولكن .. نظرا لهذا الإعجاب الشديد المتبادل بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية ، ولأن الأنظمة التعليمية مرتبطة تاريخيا .. فإن الحاجة ماسة إلى تأكيد أوجه التشابه ، وأوجه الاختلاف بين هذين البلدين . (وأحيانا يتدخل المترجمان لعقد بعض المقارنات فى بعض المواقف بما يحدث فى المدارس المصرية).

إن انهماك الطفل اليابانى فى الدرس والتحصيل ، والعلاقات الأسرية وتأثيراتها ، والجماعات التى تحفز وتعضد هذا الاهتمام بالدرس والتحصيل ، قد تكون أكثر المقاييس أهمية فى الحكم على نجاح العملية التربوية . ولا يعتبر الأمر مبالغة - فى اليابان - إذا ذكر أن الحياة هى حياة المجموعة أولا وآخرا . وهى أيضا حياة يدعمها اتفاق اجتماعى ، يحدد معايير ومستويات الأداء والسلوك، ويحكم على الفرد - فى هذه الحياة - فى ضوء تلك المعايير والمستويات .

ومن هنا .. فإن ما يحكم المجتمع اليابانى هو الاتفاق الاجتماعى ، أى ما اتفق عليه أفراد المجتمع ، وليس من خلال أيدلوجيات غامضة ومجردة لها تفسيرات متعددة، إذ لا توجد هذه الاصطلاحات التى تنتهى بالحروف الثلاثة « أ ز م » (ism)، وفى الأحكام الأخلاقية لا يوجد الأبيض الناصع ولا الأسود الداكن . وعلى سبيل المثال فعلى عكس مفهوم الأخلاق فى الغرب .. فإن العلاقات بين الأشخاص فى اليابان تأخذ مسارا خاصا بهم ، فإذا أدى أحدهم معروفا لشخص آخر فلا ينتظر أن يُرَدّ نفس المعروف من الشخص الذى تقبله ، وقد لا يرد إلا بعد سنوات طويلة ، وبصور

أخرى وبأفراد آخرين ، ويتأكد ذلك فى العلاقة بين الآباء والأبناء ، بين المدرسين والتلاميذ ، بين صاحب العمل والعمال .... فالجميل محفوظ ولا يزول ، وفاعل هذا المعروف أو الجميل سينال حقه ماديا أو معنويا وإن مرت السنوات . وتوجد أصناف مختلفة من السلوك ، تكون العلاقات الطيبة بين الأفراد ، مثل : الحساسية نحو المشاعر ، والاحترام المتبادل، وتقدير الظروف ... إلخ . فلكل موقف خصوصيته حسب الظرف ونوع العلاقة . ولا نعجب إذا حكم «الغربيون» وهم من ثقافة مختلفة على أدب اليابانى الشديد وانحناءاته التى تدل على الاحترام بأنه سلوك سطحى وغير مخلص ، بل أكثر من ذلك .. فإنهم قد يحكمون على اليابانى بالمكر والخداع ، وتصور أجهزة الإعلام هذا الآسيوى بأن له وجهين ولا يؤمن جانبه ، ولعل سبب هذه الأحكام هو ذلك الفهم الخاطىء من جانب الغربيين الذين لم يستطيعوا استيعاب اخلاقيات وثقافة اليابانيين .

وتتبلور المشكلة - فى أعماقها - فى مفهوم الذات وعلاقة الفرد بالمجموعة ، ففكرة الغربى - خاصة الأمريكى - عن الذات انها لابد أن تكون متسقة فى السلوك والتعامل مع الآخرين ، فاحترام الفرد لغيره لا يتغير ، وتعبيراته فى المواقف المختلفة واضحة وثابتة فى استمرارية ، فقلوبهم مكشوفة وما فيها على ألسنتهم ، وما يخالف هذا فهو سلوك منافق مبتذل غير مؤتمن .

أما المفهوم اليابانى عن الإنسان الطيب .. فلا يصر على هذه الاستمرارية وعدم التغيير فى السلوك ، ويسمح بعلاقة أكثر تعقيدا مع أفراد البيئة الاجتماعية . وكما تتضمن اللغة اليابانية عبارات متدرجة فى الاحترام ، تناسب من يتحدث مع اليابانى فى مكانته ونوع العلاقة بينهما .. فإن للسلوك أيضا مستويات للدلالة على درجة الاحترام . ولهذا .. فإن هناك مجالات للحرية على مستوى المجتمع الكبير ، تسمح للفرد بأن يتخير من الألفاظ ودلائل الاحترام ما يتناسب مع الأشخاص والمواقف ، وهذا أمر لايستطيع معظم الغربيين تقبله أو فهمه لاختلاف الثقافة .

ويتفهم الأطفال منذ أن يبدأوا الكلام أن هناك مستويات مختلفة للتعبيرات والسلوك ، وكذلك لما يتوقعونه من نتائج . ويزداد هذا الفهم باتساع دائرة علاقاتهم الاجتماعية . ويُمنح الطفل الياباني التعضيد والحماية لذاتيته الشخصية في ارتباطها وعلاقتها مع أفراد المجتمع المحيط به ، والذي يتسع بنموه ، بحيث يحافظ على ذاتيته، ودوره في المجتمع . ولكي يواكب الفرد المستويات التي فرضها الاتفاق الاجتماعي الياباني .. عليه أن يكون عضوا صالحا في المجموعة ، ولكنه لا يفقد ذاتيته وسط جموع الجماهير . بل على العكس فإن هذه المواكبة تعني تأكيدا للهوية الذاتية معززة عضويته في الجماعة ... بمعنى ، أن كلا من ذاتية الفرد الخاصة وذاتيته العامة - كعضو في مجموعة - لها كل الاحترام .

يعالج هذا الكتاب المفاهيم السيكوثقافية والتاريخية والاجتماعية التي تشكل البيئة التي يخبر فيها الأطفال اليابانيون الحياة ، ويظهر الفصل الأول اليابان ، كمجتمع مكرس للأطفال وللتربية . ويوجد هذا التكريس في كل مستويات المجتمع الياباني وفي كل مؤسساته . فينظر اليابانيون إلى التربية على أنها مفتاح التقدم الصناعي ، والترابط الوطني ، ومكانة اليابان في السياسة الدولية ، والنمو الشخصي ، وكذلك مفتاح لبناء الأخلاق ، واستمرارية الثقافة ، كما أنها أيضا مفتاح تكوين وحماية العلاقات بين الأفراد .

ويتناول الفصل الأول - من القسم الأول - الموقف الوطني إزاء الأطفال ، ويعرض وجهات نظر أولياء الأمور ، والمربين ، والسياسيين ، ووسائل الإعلام . أما الفصل الثاني .. فيتعرض لمفاهيم اليابانيين السيكلوجية عن تنشئة وتعلم الأطفال مبينا دور الأمهات والمعلمين في تقديم الحوافز وتعزيز دافعية الأطفال للتعلم . كما يلقي هذا الفصل الضوء على فكرة اليابانيين عن «الأم الصالحة» ، و «الطفل المرغوب فيه» . ويعرض الفصل الثالث تاريخ المدرس الياباني من فترة ما قبل العصر الحديث

إلى الوقت الحاضر ، ويتتبع مراحل تطور النظام التعليمى اليابانى من أوقات النماذج الوطنية إلى النماذج المستوردة . ويمدنا الفصل الرابع بنظرة عامة عن النظام التعليمى الراهن والممارسات التربوية . أما الفصل الخامس فهو يتناول المعلم من حيث إعداده ودوره وخبراته .

ويتضمن القسم الثانى ثلاثة فصول ، تدور حول التعلم فى البيت وفى المدرسة ، فيخصص الفصل السادس لمرحلة الطفولة المبكرة ، خاصة العلاقة بين الطفل وأمه من الميلاد إلى بدايات التعليم النظامى . وسوف نكون - فى هذا الفصل - مع طفل فى الثالثة على وشك الالتحاق بدار الحضانة ، وكيف تستعد أمه للدخول فى هذا العالم الجديد . أما المدرسة الإبتدائية ومعلموها وتلاميذها .. فنحن معهم فى الفصل السابع، حيث نعيش مع أطفال فى الصفين الثالث والسادس ، وننتقل فى الفصل الثامن إلى المدرستين : الإعدادية Junior high ، والثانوية high School وأثر الإمتحانات على حياة المتعلمين . وسنرى نماذج للتلاميذ المتفوقين ، وأخرى لغيرهم ممن لا يستطيعون الالتحاق بجامعة طوكيو .

أما القسم الثالث فيناقش الحاجات والأهداف التربوية فى اليابان وفى مجتمعات غربية ، وكذلك فى المناخ الإصلاحى الحادث اليوم فى التربية ، فيحلل مشاكل نقل الممارسات التربوية من مجتمع لآخر . وفى الفصل التاسع .. عرض عام لأهداف وقضايا التربية اليابانية اليوم ، كما يناقش آراء النقاد اليابانيين عن مدارسهم . وأخيرا .. وفى الفصل العاشر يجد القارىء ما يمكن استخلاصه من الواقع التربوى اليابانى ، كما يطرح الفصل مجموعة من التساؤلات المهمة عن أهداف ووسائل تربية أطفال العالم الغربى .

وإذا كان ثمة ما يمكن تعلمه ونحن ندرس حياة أطفال آخرين .. فإننا متأكدون أن كل مجتمع يحاول تحقيق الأفضل لأطفاله ، ولكن الأفضل فى مجتمع اليابان ليس

بالضرورة هو الأفضل لنا ، وذلك لأن مكوناته ووسائله مختلفة فى المجتمعين . ويمكن تلخيص ما ينبثق عن تفكيرنا الواعى والناقد عن التربية اليابانية فيما يلى :

١- المدارس اليابانية مثلها مثل المجتمع اليابانى حديثة (modern) ، ولكنها ليست غربية .

٢- يحفز الأطفال اليابانيون وتعزز دافعيتهم للتعلم بطرق ووسائل لاتدخل ضمن السيكلوجية الغربية .

٣- يعتبر اهتمام اليابان بالأطفال وتعلمهم محورا رئيسا وملحا فى كل أبعاد المجتمع ، لذلك يجب أن تكون نظرتنا للنموذج اليابانى - فى التربية - على أنه مرآة تعكس مجرد نماذج ، وليس على أنه النموذج الذى يجب أن يحتذى .

ومع ذلك فما يزال السؤال قائما : **ماذا يمكن أن نتعلمه من اليابان ؟**

يمكننا بالتأكيد أن نعرف المزيد عن اليابان ، وبهذا سنعرف أنفسنا أكثر . إن ما حققته اليابان خلال العشرين سنة الماضية مؤسس على أسس ومبادىء الإنتاجية الأمريكية ، وليس على مبادىء الساموراى والعسكرية اليابانية التاريخية . ولذلك فإن النظر إلى السر اليابانى الغامض ، أو الشكوى من لا إنسانية وافتقاد العدل فى التربية اليابانية لن يجدى فتيلا . والواضح أمامنا أن اليابانيين قد نجحوا فعلا فى تكييف البرامج والسياسات التعليمية لحاجاتهم ومواردهم فى الوقت المناسب . وعلينا أن نسلك نفس السبيل ، فعلينا أن نسترجع العملية التعليمية التى افتقدناها ، وصرنا نعانى من الأمية العلمية ، وأن نعيد اكتساب مهارات عملية مطلوبة ، وأن نتملك كذلك الأساليب السليمة للمشاركة الاجتماعية . (وما أحوجنا نحن فى مصر والعالم العربى إلى مثل هذه الصحوة) .

وتستمر المؤلفة الأمريكية فى حديثها مضيفة وملخصة ، فتقول :

باختصار .. يجب أن نرى اليابان على أنها أقامت مستوى جديدا لا على أنها تقدم نموذجا واجب التقليد . ولكى نواكب هذا المستوى .. يجب أن نتذكر أن لنا مستوانا الخاص بنا للتمييز ، وعلى هديه يجب أن نترسم خطواتنا فى المستقبل بما يتفق مع قيمنا وأهدافنا . وعندئذ ستكون تربيتنا لأطفالنا هى المستفيدة .